تعظيم النص الشرعي

لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر



الشيخ لم يراجع التفريغ



تعظيم النص الشرعي

00966558883286

YouTube/alshuwayer9

alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٦١)

تعظيم النص الشرعي



لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لله جَلَّ وَعَلَا له ولذلك يقول ربُّنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤]، فبيَّن الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ ما يخرج من النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمور الشّرع وفي أمور التَّكليف أنَّ ذلك إنَّما هو بوحيٍّ من الله جَلَّ وَعَلَا، ولذا فإنَّ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي القرآن ومثله معه **يعني**: السُّنَّة، وهذان الأمران **أعني**: الكتاب والسُّنَّة كلاهما وحيٌ من الله جَلَّ وَعَلَا، ولذا فإنَّهما يسميان بالوحيين من الله سبحانه.

وتعظيم هذين الأمرين -أيُّها الإخوة- هو من الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا، فمن عظَّم الله جَلَّ وَعَلَا عظُم في نفسه كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ووحيه، وعظُم في نفسه كذلك ما أوحى به وأمر إلى نبيّه محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

بل إنَّ تعظيم الكتاب والسُّنَّة هو شرطٌ لصحة الإيمان كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١] فبيَّن الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ المؤمنين من صفاتهم أنَّهم إذا دعوا إلى الكتاب والسُّنَّة قالوا سمعنا وأطعنا، وأنَّ فعلهم ذلك هو سبب فلاحهم، ونجاحهم، ونجاتهم إلى الله سبحانه. وفي المقابل لمَّا ذكر الله جَلَّ وَعَلَا المنافقين قال عنهم: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝٤٨﴾ [النور: ٤٨] فالمؤمنون قالوا سمعنا وأطعنا، والمنافقون ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝٤٨﴾.

فالفرق بين الإيمان والنِّفاق، والصدق وعدمه؛ إنَّما هو بالنظر لهذا الكتاب والسُّنَّة، فمن أعملهما عظمهما وعمل بهما فإنَّه علامة إيمانه، وضده بضده.

وهذان هذان **أعني**: الكتاب والسُّــنَّة معظمان بتعظيم الله جَلَّ وَعَلَا لهما، وقد أورد الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه آياتٍ كثيرات لبيان فضــل هذا الكتاب العظيم، فالله جَلَّ وَعَلَا أقســم بكلامه، ووصــفه بنعوتٍ كثيرةٍ، ومما ذكره الله جَلَّ وَعَلَا أن قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشــر: ٢١]، فبيّن الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ الجبال تلين لهذا القرآن العظيم، وأنَّ هذه الصــخور العظيمة إنَّما هي ذليلةٌ أمام كلام الله جَلَّ وَعَلَا متواضــعةٌ له، فكذلك قلب المؤمن، وأمَّا المنافق فإنَّه بضد ذلك.

ولذلك -أيها الإخوة- فإنَّ تعظيم نصــوص كلام الله جَلَّ وَعَلَا وســنة نبيّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهم الأمور وألزمها،

۞ بيد أنّي ســأذكر أموراً لا بدّ من مراعاتها، وبها يتحقق تعظيم نصــوص الكتاب والسُّنَّة، وبها يتبين صدق ذلك على كماله:

۞ أول هــذه الأمور: أنَّ المؤمن يجـب عليــه أن يقــدّم كلام الله وكلام رســوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كلّ شيء، فلا شــيء مقدّمٌ عليهما لا ذكراً، ولا عملاً، ولا تعظيمـًا، ولا محبةً، ولا تفقهـًا ولا غير ذلك.

يقول ربّنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] فبيّن الله جَلَّ وَعَلَا أنَّه لا يجوز أن يقدَّم بين يدي الله ورسـوله شـيءٌ مطلقـًا، وهذا من أهمّ الأمور في تعظيم الكتـاب والسُّــنَّـة، والله جَلَّ وَعَلَا قـال: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ولـم يـذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مفعولاً.

قال علماء البلاغة والبيان: «وإنَّما حذف المفعول لغرضين الأول للتعميم» فإنَّ العرب إذا حذفوا المفعول فإنَّه يدلُّ على التَّعميم فلا يقدم شـــيءٌ البتّة على كلام الله جَلَّ وَعَلَا وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال بعض علماء البلاغة: «وإنَّما كان ذلك **أي**: حذف المفعول لكي يكون القصـــود نفس الفعل لا المفعول»، فمجرّد التّقديم إنَّما يكون له ما، ولذا حُذف المفعول، وهذا يدلُّنا على عظيم بلاغ كلام الله جَلَّ وَعَلَا وإعجازه، وبيانه ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فالمؤمن يجب عليه أن يجعل هذه الآية حاضرةً بين عينيه مستبينةً أمامه، وما عرض ليه أمرٌ أو نزل به شـــيءٌ إلا وذكر هذه الآية العظيمة ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فلا يقدّم شـــيئًا عليهما، ولذلك قال **سفيان بن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَعَالَى** لمّا قرأ هذه الآية قال: «لا تقطعوا شيئًا دون الله ودون رســوله» فالمؤمن في حلِّه وترحاله، وفي فعله ودله، في كل شــأنه كلِّه إنَّما يُحكِّم كلام الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

❁ **الأمر الثاني الذي به يتحقق به تعظيم النَّصـوص من الكتاب والسُّـنَّة: ألا يعارض المسـلم نصوص هذين الوحيين بقياسٍ ولا بعقلٍ، ولا بتقليدٍ ولا بغير ذلك**، ولذلك يقول ربُّنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصـص: ٥٠] فمن اتَّبع هواه ونظر في عقله، وقدّمه على نصوص الكتاب والسُّنَّة فهو في كلام الله جَلَّ وَعَلَا من أضلِّ الناس بل هو أضــلهم ولا شــك في ذلك، والواجب على المســلم أن يُمِرَّ كلام الله جَلَّ وَعَلَا على ظاهره، وأن ينزله منزلته مهما كان في عقله شيءٌ قد يعارض ذلك.

ولذلك جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيمن قدّم حكمه على حكم رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عمر: «فإنَّ حكمه أن يضرب بالسيف» ذلك حكمه، فدلّ ذلك على أنَّ المسلم يجب عليه أن يعظم النّصوص من الكتاب والسُّنَّة فلا يقدم عليهما شيئًا البتة، لا يقدم عليهما نظر عقلٍ، ولا فهمٍ قاصر.

ولذلك فإنَّ الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لمّا قيل له إنَّ بعض النّاس ربَّما نظر في عقله فوجد أنَّ بعض النصوص قد لا تؤدي المعنى الذي في عقله فقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «هل إذا ذهبت إلى صحراء تنظر لكل شيء، قال: لا، قال: إذا فاعلم أنَّ لعقلك حدًا كما أنَّ لبصرك حدًا»، فالإنسان إذا عارض عقله النّص الصّريح البيِّن الصحيح عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ممّا ورد في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا فليتَّهم عقله قبل أن يتجه إلى تأويل ذلك النّص على غير وجهه.

إذن: الصورة الثّانية والسبب الثاني في تعظيم النّصوص أنَّ المرء لا يعارضهما بقياسٍ، ولا بعقل، ولا بتقليدٍ، ولا باجتهادٍ غير مقبول ولا متأول.

ومازال أهل العلم منذ القدم يُعنون بالكتب التي تبيِّن درء تعارض العقل مع النّقل، وظن الاشتباه في الأحاديث، فألف الطحاوي وابن قتيبة وكثير من أهل العلم في هذا الفن، ومن الأصول في ذلك ما جاء عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تربيةً للمسلمين بعده في هذا الأمر فإنَّه لمّا توضأ مرةً ومسح على أعلى خفه قال: «لو كان الدين بالرأي لكن مسح أسفل الخف أولى من مسح أعلاه» ولكن إنّما هو السماع، ولكن إنَّما هو الإتباع لكلام الله جَلَّ وَعَلَا وسنة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

❁ الأمر الثالث الذي يكون به تعظيم النّصوص من الكتاب والسُّنَّة تعظيمها بالإيمان بها، وهذا هو الأصل والأتم والمهم أنَّ المرء يُعنى بهذا الجانب: ومن أعظم

الإيمان: الإيمان بأنّهما وحيٌ من الله جَلَّ وَعَلَا وأنَّ القرآن كلام الله جَلَّ وَعَلَا منه بدأ، وإليه يعود، وأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يتكلّم بما شاء وقت ما شاء جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] وأنَّ كلام الله جَلَّ وَعَلَا بعضه يفضل بعضًا، وأفضل كلام الله جَلَّ وَعَلَا ما أوحاه إلى نبيِّه محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو القرآن العظيم، فالمؤمن إذا استشعر أنَّ هذا القرآن العظيم وحيٌ من الله جَلَّ وَعَلَا وأنَّه كلامه، وأنَّه يخاطب به عباده فإنَّه حينئذ يُعظّم ذلك أتمّ التّعظيم.

إذن: المؤمن يؤمن بأنَّ الكتاب وحيٌ من الله جَلَّ وَعَلَا، وأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا حافظٌ هذا القرآن وأنَّه غير مضيَّع ولا بمبدَّل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، والله جَلَّ وَعَلَا قد تأذّن بحفظه وأيم الله لو أنَّ امرءً همّ في وسط بيته على أن يزيد أو ينقص من هذا الكتاب حرفًا لما أصبح إلا وقد فضحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ذكر الخطيب البغدادي في «تاريخه» أنَّ رجلاً من يهود كان يبيع في سوق بغداد، وأنَّ هذا الرجل اليهودي كان يبيع الكتب، وأنَّه مرةً أخذ نسخةً من التوراة فنسخها فزاد فيها، ونقص وبدل، ثمّ باعها لأحبار اليهود فاشتروها في ذلك السوق في بغداد، ثمّ تلوها في معابدهم وما أنكر أحدٌ من ذلك شيئًا، فعلى رأس الشّهر أتى بنسخةٍ أخرى من الإنجيل فكتبها، فزاد فيها ونقص وحرف، فأخذها رهبان النصارى وقرأوها وأقرأوها وما أنكر منهم أحدٌ ذلك، ثمّ بعد ذلك أخذ نسخةً من القرآن فنسخها فزاد فيها شيئًا وبدّل، ثمّ قال عن نفسه فبعتها في السوق يقول: فوالله ما خرجت من السوق إلا وأهل السوق جميعا يتكلّمون ويقولون بيعت اليوم في سوق بغداد نسخةٌ من القرآن محرّفة، فأحرقت قبل أن أخرج من السوق»، **قال الخطيب**: فكان ذلك سببًا في إسلامه وإيمانه لأنَّه علم أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي

حفظ هذا الكتاب العظيم.

ولذلك فالله جَلَّ وَعَلَا حفظ هذا القرآن فهو مأمونٌ من التّبديل، ومن التّغيير، ومن الزِّيادة والنُّقصان، والله جَلَّ وَعَلَا حافظٌ القرآن في قلوب المؤمنين وصدورهم، جاء في بعض الأخبار أنَّ عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يخبر عن أمة محمد فيقول: «هم أمةٌ أناجيلهم في صدورهم» فيحفظون هذا القرآن ويعنون به.

إذن: الأمر الثالث الذي يكون به تعظيم الكتاب والسُّنَّة تعظيمهما بالإيمان بهما حقيقةً بأنَّهما من الله، وأنَّ القرآن كلام الله، وأنَّ السُّنَّة وحيٌ من وحي الله جَلَّ وَعَلَا لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغير ذلك من الأمور المتعلّقة بالإيمان بكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي المقابل فإنَّ من أخلّ بهذا الأمر فإنَّه لا يعظّم الكتاب ولا السُّنَّة، فقد ذكر أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أنَّ بعضًا من الذين يقولون إنَّ كلام الله مخلوق قال: لو وضعت القرآن تحت قدمي لما ضر ذلك لأنَّه مخلوق.

إذن: فالبعد عن منهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطريقته في الإيمان إنَّما هو سبب لعدم تعظيم النّصوص من الكتاب والسُّنَّة.

❁ **الأمر الرابع الذي يكون به تعظيم الكتاب والسُّنَّة العناية بحفظهما؛** فإنَّه لا نفع لأحدٍ دون أن يحفظ هذه الأمور **أعني**: الكتاب والسُّنَّة. وقد ذكرت لكم قبل قليل أنَّه جاء في بعض الأخبار عن عيسى بن مريم أنَّ هذه الأمة من صفاتها أنَّ أناجيلها في صدورها، فهم يحفظون القرآن في صدورهم، ويتلونه بألسنتهم، ويرددونه في مساجدهم، ولو أنَّ هذه الدنيا كلّها مُحيت ما كتب في الصّحف فيها فإنَّه ليُملينّ هذا القرآن ألوفٌ بل مئات ألوفٍ، بل

لربّما ملايينٌ من النّاس لا يزيدون فيه حرفًا ولا ينقصون، ولا يغيرون حركة ولا يبدلون.

إذن: فمن أعظم ما تعظّم به النّصوص حفظها، ولذلك فإنَّ المرء كما جاء عن النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأن يحفظ البقرة وآل عمران خير لـه من نـاقتين عظيمتين تغديان عليه وتروحان الحليب وغير ذلك.

فالمقصود من هذا أنَّ المرء إذا عُني بحفظ كلام الله جَلَّوَعَلَا وسنّة النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فإنَّه المعظم لها، وقد كان صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ يضربون في ذلك أروع الأمثلة وأصدقها، فقد جاء أنَّ جابر بن عبدالله وهو صحابي وابن صحابي رحل مسيرة شهرٍ ليسمع حديثًا من أحد الصحابة عن النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وألّف فيه الخطيب البغدادي جزءًا لتتبع هذا الطريق، وكان بعض أهل العلم كشعبة بن الحجاج انتقل بين خمس مدن ليتأكد من صحة حديثٍ سمعه عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومن شدة ورع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أنَّ أنسا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ كان إذا حدّث عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا يحدِّث إلا ويقول بعد ذلك أو كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خشية أن يقع في الإثم، فيكون ممن حدَّث عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بحديثٍ ليس بصحيح، وإنَّما رواه بمعناه والباب في ذلك واسع، حتى إنَّ بعضًا من أهل العلم **يعني**: كأبي الدرداء وغيره لهم في ذلك أمثلةٌ كثيرة في العناية بالتحديث النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

❁ **الأمر الخامس الذي يكون به تعظيم الكتاب والسُّنَّة ونصوصهما تعظيمها التّعظيم الحسي؛** فإنَّ التّعظيم الحسي يؤثر على التّعظيم القلبي، ولذلك فإنَّ من عظّم شعائر الله فإنَّها من تقوى القلوب، فتعظيم شعائر الله عَزَّوَجَلَّ وهو التّعظيم الحسي له أثرٌ على تعظيم القلوب، ولذلك يقول ربنا جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢] فنهى الله جَلَّ وَعَلَا المسلمين أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيكون صوتهم أعلى من صوته، وجاء أنَّ ثابت بن قيس بن شماس لمّا نزلت هذه الآية اعتزل في بيته وقال: هلكت لأنَّ قيس بن ثابت بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان رجلًا جهور الصوت، وكان خطيب النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان صوته مرتفعًا فظن أنَّه هو المقصود بهذه الآية، ثمّ بيّن له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه ليس هو المقصود.

هذه الآية تفيدنا على أنَّ المسلم لا يجوز له أن يرفع صوته فوق صوت النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسا، فكذلك يجب أن يعظم كلام الله جَلَّ وَعَلَا حقيقةً **أي**: ما كُتب فيه، ويعظّم كذلك سنّة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كتبت، وقد جاء عن صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك شيءٌ عظيم، وقد أفرد ابن أبي داوود في كتاب المصاحف أبوابًا في تعظيم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهذا القرآن الذي بهذه المصاحف التي فيها كلام الله جَلَّ وَعَلَا، ومن ذلك ما جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه كان لا يمد قدميه فيكون المصحف أمامه من باب التوقير والإجلال لكلام الله جَلَّ وَعَلَا، وجاء عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة أنّه كان من توقيره لحديث النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا فعل غيره من أئمة المسلمين أنّه كان إذا أراد أن يقرأ حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو يُقرئه في المسجد ما أقرأه إلا على طهارة من باب التعظيم.

وكذلك القرآن فإنَّ السُّنَّة عند قراءته أن يكون المرء على طهارة ويجب عند قراءته أن يكون على طهارة من الحدث الأكبر، وأما عند مسه فلا يجوز مسه ممّن عليه حدثٌ أكبر ولا حدثٌ أصغر، ودليل ذلك قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩]

وفي حديث أبي بكر بن حزم أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَأَلَّا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**» فهذه الأمور وغيرها كثير ممّا يتعلّق بالتعظيم الحسي الملموس للكتاب والسُّنَّة والرقم، والورق الذي وُضع فيه فإنّ ذلك يدلّ على تعظيمها في القلوب.

وقد جاء عن عند الطبراني من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمّا جمع القرآن في هذه الصحف شاور الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الحديث إسناده جيد شاور الصحابة -رضوان الله عليهم- في تسميته فقالوا نسميه مصحفاً؛ لأنَّه من الصحف فلمّا رآه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معلقاً في المسجد قال: لقد سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يأتي أقوام يؤمنون بالمعلق**» **يعني**: القرآن التي تكون مكانها مرتفع، قال: ولم أكن أعرفه حتى رأيته مجموعاً في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فدلّنا ذلك على مسألة وهو أنَّ الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يجلّون القرآن ويضعونه في المكان المرتفع، ولا يجعلونه في المكان النازل، وقد ذكر أهل العلم أنَّ من الأدب مع القرآن ألا يُجعل فوقه كتاب، فقد ذكر المرادي في كتابه «عرف البشام» أنَّ من أراد أن يرتّب كتبه فإنَّه يجعل أعلاها القرآن، ثمّ يجعل دونها كتب التفاسير، ثمّ كتب السُّنَّة، ثمّ دون ذلك كتب الفقه، ثمّ دون ذلك كتب الأدب فالإنسان مراعاته للأمور الحسية لا شكّ أنَّها مؤثرةٌ في وقع القلوب وما يتعلق به.

❁ **الأمر السادس فيما يتعلق بتعظيم كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنّة النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من أهمّ الأمور وهو تعظيمها بالعمل بها**، فإنَّ أعظم ما يعظّم به الكتاب والسُّنَّة تعظيمها بالعمل، فلا تعظيم حقيقةً إلا بالتّعظيم بالعمل، ولذلك قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ روي مرفوعًا: «إِنَّمَا الْعِلْمُ الْخَشْيَةُ» فمن لم يعمل بكلام الله جَلَّ وَعَلَا وسنة رسوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليس بمعظّم لهما، ولذلك يقول ربّنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، فبيّن الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ الذين يخالفون الأمر، ولا يمتثلون له، ولا يعملون بنصوص كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فإنَّه يُخشى عليهم الفتنة والضلال، والزيغ عن الطريق السَّوي، وقد جاء عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «إنّي لا أترك سنةً رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعملها إلا عملت بها إنّي خشيت إن تركت شيئاً من ذلك أن أزيغ» فبين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ ثمرة العلم بالكتاب والسُّنَّة إنَّما هو العمل بهما، **ولذلك قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «يجب على صاحب القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ النّاس صائمون، وبنهاره وصومه في النّهار إذ النّاس مفطرون، وبصمته إذ الناس يخوضون» وعدَّ شيئاً من هذا الباب.

إذن: -أيها الإخوة- إنَّ من أهم الأمور وهو المحك حقيقةً الملموس لتعظيم الكتاب والسُّنَّة ومعرفة من عظمهما على الحقيقة أن تعرض عمل ذلك المرء على الكتاب والسُّنَّة، فإن وافقه فهو المعظّم لهما وإن خالفه فهو ليس بمعظمٍ، وإن ادعى ذلك وجعل المصحف على رأسه، وإن فعل ما فعل فليس بمعظم، ولذلك جاء عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أنَّه روى حديثاً عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيل له أتعمل بهذا الحديث؟ فقال: أيُّ سماءٍ تظلني وأيُّ أرضٍ تقلّني إن رويت حديثاً عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم أعمل به، ولذلك أخذ أصحابه أنّ كل حديثٍ صح إسناده فإنَّه يكون قولاً له وإن لم يعمل به، قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لمّا تكلم عن التّكبيرات التي يُرفع فيها اليدين ذكر أنَّ الشافعي أخذ من حديث أبي أُسيد ثلاث تكبيرات عند افتتاح الصّلاة وعند الهوي للركوع وعند الرفع منه، قال: ولكن

قد صــح من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رفع لليدين عند التكبيرة الرابعة وهو عند الرفع من التشــهد الأول للركعة الثالثة، **قال البغوي في «التهذيب»**: «وقد قال الشــافعي إذا صــح الحديث فهو مذهبي فيجب الصـيورة له، وإن خالف ذلك منصــوصــه؛ لأنَّه ربما لم يطلع عليه أو لم يصح عليه إسنادا».

هكـذا الأئمـة، الأئمـة دائمـاً إذا صــح عنـدهم الحـديـث وجـاءهم النقـل عن النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وقبل ذلك ما جاء في كلام الله جَلَّوَعَلَا فإنَّهم يعملون به ولا يعارضون به شيئـًا ولـذلـك فإنَّ ابن أبي ذئـب رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى لمّـا روى حديثـًا في العقول قيل لـه: أتأخذ بهذا الحديث؟ فغضب على من سأله هذا السؤال قال: من جاءه شيءٌ من كلام الله جَلَّوَعَلَا وسنّة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ففرضٌ عليه أن يأخذ بهما وأن يعمل بهما.

إذن: العمل بالكتاب والسُّــنَّة ومقياس صـدق المرء بعرض عمله على الكتاب والسُّــنَّة ذلك هو حقيقة التعظيم، والإجلال لنصوص كلام الله جَلَّوَعَلَا وسنة النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وقد ذكر بعض الســلف **وهو عبدالله الديلمي قال**: «بلغني أنَّ ذهاب الدين يكون بترك السُّنَّة شيئـًا فشيئـًا، كما أنَّ الحبل تبلى قوته شيئـًا فشيئـًا».

إذن: فالمسلم لا يتهاون في العمل القليل ويقول سأتركه بل يلزمه أن يعمل بالقليل فإنَّه دليلٌ وسببٌ لأن يعمل بالكثير والأولى.

إذن: فمن أهم الأمور أن يحرص المسلم على العمل بما صح به الكتاب والسُّنَّة.

وممّا نقل من الأخبار في ذلك ما جاء عن ابن مســعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه دخل على النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والنبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يخطب في المســجد قائمـاً على المنبر، وبينما النبيّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب على المنبر إذا برجلين من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختصمان ويتلاحيان، يرفع أحدهما صوته على صاحبه فأشار لهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْلِسُوا، اجْلِسُوا**» **يعني**: اسكتوا واجلسوا لا تقفا وتتكلما في هذا الموضع، فبينما النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لهم هذه الكلمة إذا بعبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدخل المسجد فسمع قول النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْلِسُوا، اجْلِسُوا**» فجلس على باب المسجد ساداً له، فينظر إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول له: «**يا أبا عبدالرحمن ما أجلسك هذا المجلس؟ نحن نعلم أنَّ الجلوس على الأبواب منهي عنه ولا يجوز اتقوا اللاعِنَين**» وفي لفظ: «**اتقوا اللاعِنين**» وذكر من ذلك الذي يبول في طريق النّاس وظلهم، فمن ذلك من سد طرق الناس وآذاهم فإنَّه يكون متوجبًا للعنة حتى إنَّ فقهاء المسلمين يقولون: «إنَّ الذي يصلي في الطريق العام فيسده، أو الذي يصلي في الباب فيسده على الداخلين فإنَّ صلاته باطلة»، وهذا هو مشهور مذهب الإمام أحمد ومذهب الشافعي.

فدلّ ذلك على أنَّ هذه المواضع خطيرة وهو أذية الناس في طريقهم فقال له النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أجلسك في هذا المجلس فإنَّه ليس بمكان للجلوس فقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعتك تقول للناس اجلسوا فخشيت أن أخالف أمرك فأهلك» المؤمن -أيها الأخوة- دائمًا كل أمر ينزله على نفسه وكل أمرٍ أول ما يوجهه إليه فيعمل به.

ولذلك فإنَّ الصحابة في قباء بينما كانوا يصلون إلى الشام جاءهم صارخٌ فقال اليوم نزل على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحي وأنَّ القبلة إلى الكعبة وهم في صلاتهم تحولوا إلى الجنوب بعد ما كانوا متجهين إلى الشمال، فالمؤمن دائمًا يعظّم النّصوص بالعمل بها، ولكن قبل ذلك أمرٌ مهم أنَّه لا يمكن العمل إلّا بالعلم، والعلم يكون بالحفظ وبالفهم،

فليس كل من فهم شيئًا أحسنه وليس كل من قرأ نصًا فإنَّه يكون موفقًا لما فيه، فإنَّ هناك أحكامًا نسخت، وهناك أحكامًا خصت، وهناك أحكامًا قيِّدت، وهناك أحكامًا فصِّلت بعدما كانت مجملة وغير ذلك من الأمور، فكثيرٌ من الأحكام تحتاج إلى علم ومعرفة، ولذلك فإنَّ العبادة من العالم أعظم أجراً عند الله جَلَّ وَعَلَا من العبادة من غيره، والمسلم هو بين أمرينك إما أن يكون طالبًا لعلم أو أن يكون قانعًا بجهل ولا وسط بينهما، فالمسلم دائمًا يحرص على أن يتعلّم الأحكام المأخوذة من الكتاب والسُّنَّة، ولنعلم أنَّ أعظم الطريق للعلم بالله جَلَّ وَعَلَا، والعلم بأحكامه جَلَّ وَعَلَا إنَّما هو عن طريق الكتاب والسُّنَّة، ولنقف مع هذين الأمرين وقفة يسيرة قبل أن نوجز في آخر حديثنا.

❋ **أما العلم بالله جَلَّ وَعَلَا** فإنَّ من رام العلم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من ربك؟ وما هي صفات ربك؟ وما هي أفعاله جَلَّ وَعَلَا في خلقه ابتداء وفي خلقه في حياتهم الآن من أفعال؟ وغير ذلك وما يفعله جَلَّ وَعَلَا من المغيّبات فيما سيكون في يوم القيامة، اعلم أنَّ الطريق لذلك كلّه إنَّما هو الوحي من الكتاب والسُّنَّة، ومن رام أن يعرف ذلك بغير الكتاب والسُّنَّة فقد ضل وزاغ، نعم نعرف الله جَلَّ وَعَلَا بالفطرة فإنَّ الله فطر قلوب بني آدم على التوحيد، القلوب مفطورة على توحيد الله جَلَّ وَعَلَا مفطورة ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] مفطورة على الإيمان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتقريره، ولكن العلم بالنصوص من الكتاب والسُّنَّة هو الذي يجلِّي ذلك، ولذلك يقول بعض أهل العلم كما قال الشيخ تقي الدين يقول: «ما من تصديق إلا ويوجد تصديق أعلى منه» حتى يكون أكمل الإيمان والتصديق للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وإنَّما يجني التصديق ويزيده ويكمله العلم، فكلما كان المرء أعلم بالله جَلَّ وَعَلَا كلما كان أعلم كلما كان أتم إيمانًا، ولذلك جاء في الحديث عن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه

قال: «**أنا أعلمكم بالله، وأتقاكم له**» فأكمل النّاس إيمانـًا وأتمهم معرفةً، وأصدقهم تصديقا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكثرهم علما كما قال النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أعلمكم بالله، وأتقاكم له**» لأنَّ العلم هو الذي يورث التصـديق والعلم بالله عَزَّوَجَلَّ إنَّما مبناه والرقي فيه بالسـماع ولا طريق إلى ذلك إلا من الكتاب والسُّنَّة.

وأما إن رام المرء معرفة الله عَزَّوَجَلَّ في غير ذلك، فلا شـك أنَّ غير ذلك إما أن يكون سـببًا ضـعيفـًا، وإما أن يكون سـببًا ملغيًا بالكلية؛ فإنَّ بعض الأسـباب التي يدعيها بعض أهل الكلام وغيرهم إنَّما تزيد العقول حيرة وتزيدها بعداً عن الطريق السوي.

إذن: أسـرع طريقٍ وأنفذه وأكمله وأتمه لمعرفة الله جَلَّ وَعَلَا والإيمان به أن يزداد المرء معرفةً بكلام الله عَزَّوَجَلَّ وسنّة النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحديث أبي هريرة المعروف لنا جميعـًا: «**إِنَّ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً إِلَّا وَاحِد، مَنْ أَحْصَـاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» إلى هنا الحديث ثابت، وأما زيادتها فقد قيل إنَّها مدرجةٌ من كلام الوليد ابن مسـلم وقيل غير ذلك وهي عند الترمذي، فبيّن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّ لله تسعة وتسعين اسمـًا من أحصاها **أي:** عرفها، ودعا بها، وآمن بها دخل الجنة ولا يمكن -كما قال أهل العلم- معرفة هذه الأسـماء التسـعة والتسـعين إلّا بمعرفة النّصـوص من الكتاب والسُّـنَّة، ولذلك عُني أهل العلم بجمع النّصـوص التي تُعنى بأسـماء الله جَلَّ وَعَلَا في الكتاب والسُّـنَّة في ذلك الإمام محمد بن إسـحاق بن منده في كتابه التوحيد فإنَّه جمع النّصـوص التي فيها ذكر أسـماء الله جَلَّ وَعَلَا، وغيره كابن اسـماعيل الهروي في الأربعين وغيره.

المقصود من هذا كلّه أنَّ الإنسان يجب عليه العلم بالكتاب والسُّنَّة وأن يُعنى بالتفقه بهما، وليعلم المسلم أنَّ أناسًا قد أضلّهم الله جَلَّ وَعَلَا بسبب جهلهم بالكتاب والسُّنَّة مع حفظهم له.

يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما روى ذلك الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هلاك أمتي في اثنتين في الكتاب وفي اللبن**» فأما الكتاب -القرآن-؛ فإنَّهم يقرؤونه ويتأولونه على غير وجه، وأما اللبن فيحملهم حب البادية على أن يبدوا فيتركوا الجمعة والجماعة.

فالمقصود من هذا أنَّ الكتاب القرآن يكون سببًا لإظلال وإغواء أقوامٍ كما بينه النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بأن يتأولوه على غير وجهه فيضربوا بعضه بعضًا، ويحملوه على غير ما أنزل له أو يتأولوه بأدنى الشبه، وقد بيَّن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ أنَّه يأتي أقوامٌ يقرأون القرآن ويجيدون تلاوته، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرّمية، كما يمرق السهم من الرمية بسب جهلهم بمعانيه.

وقد بيّن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ أنَّ في آخر الزمان يفشو الجهل، ويقلُّ العلم فقال: «**لا ينزع الله عَزَّوَجَلَّ العلم انتزاعًا من صدور العلماء وإنَّما يقبضه بقبض العلماء، فإذا مات العلماء اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسُئلوا فأفتوا فضلّوا وأضلّوا**»، فبيّن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ في آخر الزمان يكون هناك رؤوسٌ جهّال، وبالمقابل قال: «**إنَّ في آخر الزمان يكثر قرّاؤكم، ويقلُّ علماؤكم**» فيكثر القراء، ولنعلم أنَّ هذا القرآن باقٍ إلى قيام الساعة لن يُرفع إلى قيام الساعة، ولكن إنَّما يقل العلم حتى يُمحى تمامًا في آخر الزمان قُبيل قيام الساعة بقريب يمحى، وأمّا في أول أشراط الساعة الكبرى فإنَّ العلم موجود وأهل العلم كما ثبت

ذلك في مسند في غير ما قصة.

فالمقصـــود من هذا أن في آخر الزمان في آخر أحوال الدنيا لا يبقى إلّا الرؤوس الجهال كما بيّن النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمقصـــود من هذا الذي أريده أنَّ من أهم الأمور التّفقه في الكتاب والسُّـنَّة، ولذلك يقول أبو نصـر بن الصـباغ صـاحب كتاب «الشـامل» يقول: «لأن أبيت ليلةً أتفقه في كلام الله جَلَّ وَعَلَا أحبُّ إليّ من أن أبيت تلك اللّيلة مصـليـًا» لأنَّ التّفقه والتعلم، وأخذ العلم عن أهله، والمعرفة والصـبر في ذلك هو من أعظم القربات لله جَلَّ وَعَلَا يصـــحح الله عَزَّ وَجَلَّ به العبادات فتكون مســتقيمةً على السُّـــنَّة والهدى ويجعلها الله عَزَّ وَجَلَّ موفقة.

❈ **والأمر الثاني أنَّ هـذه العلم يحمي الله عَزَّ وَجَلَّ به يعني:** العبـد من الفتن وغوائلهـا، ولذلك جاء في بعض الآثار أنَّ إبراهيم بن أدهم قال: «إنَّ أشـد شـيءٍ على الشّـيطان العالم الحليم الذي إذا تكلَّم تكلم بعلمٍ وإذا سـكت سـكت بحلم» فالشـيطان أشـد ما عليه العالم بالكتاب والسُّنَّة فإنَّ إغواءه من أصعب الأمور عليه.

❈ **الأمر الذي بعد ذلك يكون به تعظيم النّصوص من الكتاب هو التّسليم،** ومسألة التّسـليم من أهم الأمور، وثمرة النتائج، ومعنى التسـليم أنَّ نفس المؤمن تصـبح منشـرحةً وخـاطره يكون مقبلاً على العبـادة، والأمر الـذي أمر بـه الله جَلَّ وَعَلَا أو أمر بـه النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولـذلـك يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٖ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالمؤمن بطبعه دائمـًا إذا جاءه أمرٌ عن الله جَلَّ وَعَلَا أو صح به النَّقل عن رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال سمعـًا وطاعة لله ولرسوله على العين

والرأس، فيقدِّم كلامهما على كل شـيء ونفسـه منشـرحة وخاطره مقبل على هذا الأمر والامتثال، وهذا هو التسليم لله جَلَّ وَعَلَا ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

هذه الأمور العامة هي المتعلقة بالتّعظيم.

وفي المقابل فإنَّ هناك أموراً عكس ذلك تكون قوادح في التّعظيم وهي عكس السابقة، وأذكر منها بعضها لأجل انتهاء الوقت، وعلى ذلك:

❁ **فمن الأمور التي تكون قادحةً في تعظيم النّصـوص من الكتاب والسُّـنَّة أن يكون المرء متكبراً عنه**، غير قابل له فإنَّ المرء إذا ثنى عطفه عن أن يسـمع كلام الله جَلَّ وَعَلَا وسـنة رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكبر فإنَّ ذلك من أعظم الزيغ عن هذا الطريق السـوي المسـتقيم، ولذلك لمّا جاء رجلٌ للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان يأكل بشـماله قال له النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا أَسْتَطِيعُ فقال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ**» ما منع ذلك الرجل من فعله إلا الكبر، فشلّت شماله فلم يستطع بعد ذلك أن يأكل بشماله، وهذا يدلّ على أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يعاقب من يتكبر ويتألى على النّصوص من الكتاب والسُّنَّة.

❁ **ومن صـور التكبر ومن صـور القوادح الخطيرة الاسـتهزاء بالنصـوص من الكتاب والسُّـنَّة**، فإنَّ الاسـتهزاء بنصـوص الكتاب والسُّـنَّة هذا من أخطر الأمور ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم﴾ [التوبـة: ٦٥ - ٦٦] فبيّن الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ الاسـتهزاء بهـذه من الكفر، وقـد جـاء أنَّ أبـا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّـا ذكر حـديـث النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرجل الذي خُسف به بينما كان يمشي فخسف به قام فتى من الحاضرين فقال: يا أبا هريرة أهكذا يمشي الرّجل الذي خسف به؟ ثم بدأ يتمايل في مشيه قال الراوي:

فخر على وجهه فسقط وعثر حتى كادت رجله أن تنكسر، ولربَّما كان ذلك رحمة من الله جَلَّ وَعَلَا له فيكون عجِّلت عقوبته في الدنيا قبل تعجيلها في الآخرة.

إذن: الاستهزاء بالنّصوص هذا من أخطر الأمور التي يعاقب الله عَزَّوَجَلَّ عليها العبد في الدنيا ويعاقبه عليها كذلك في الآخرة.

۞ **الأمر الثالث الذي يكون قادحًا في تعظيم النصوص من الكتاب والسُّنَّة**: أنَّ المرء لا ينظر فيما عداهما ممّا يكون فيه أمور الشر ولذلك فإنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما أتى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي يده شيء من كتب أهل الكتاب غضب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد الغضب وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ يَا ابْنَ الخَطَّابْ؟ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَوْ كَانَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»، **ولذلك قال أهل العلم**: «إنَّه لا يحل النظر في التوراة ولا في الإنجيل» لا يجوز النظر فيها، ولا القراءة لا قراءة تدبر، ولا قراءة فهم ولا غير ذلك، ولا يستثنى من ذلك إلا شيءٌ واحد وهو أن ينظر المسلم فيها من أجل الرد إن كان متصدراً لذلك، فإن قال امرؤ فإنَّ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**» فنقول إنَّما جاء عن أخبار بني إسرائيل ثلاثة أنواع: نوعٌ أذنا بالتّحديث عنه، ونوعٌ أمرنا بالتحديث، ونوعٌ نُهينا عن التحديث.

۞ **فأما الأمر الذي أمرنا بالتحديث عنه من أخبار بني إسرائيل** فهو ما جاء في كلام الله جَلَّ وَعَلَا وسنّة النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أخبار بني إسرائيل فقد روى النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر بعضًا من أخبارهم صح به النقل فهذا يجب الإيمان به، والتحديث به من أعظم القصص، ولذلك لمّا ملّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ملّ كما عند ابن حبان في صحيحه ملوا فقالوا يا رسول الله قص علينا فأنزل الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]

فأعظم القصــص، وأحســنه، وأتمه، وأجوده، وأكمله هو ما في كلام جَلَّ وَعَلَا فهذا يجب الإيمان به وتلاوته لازمة.

❁ **الأمر الثاني** من أخبار بني إسرائيل التي لا يجوز قراءتها، ولا يجوز الإخبار بها، ولا التحديث فهو الذي روي بإسنادٍ مكذوبٍ عن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أو قارب المكذوب والأمر الثاني ما كان في التوراة والإنجيل.

❁ **النوع الثالث** الذي يجوز روايته ولكنه لا يصدَّق ولا يكذَّب فهو ما جاءنا من طريق مســلمة أهل الكتاب المتقدِّمين كمحمد ابن كعب القرظي، وككعب الأحبار وما نقله عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن من أدركه من مسلمة أهل الكتاب، وما نقله أيضاً عبد الله بن سلام -رضي الله عن الجميع-.

فالمقصــود من هذا كلِّه أنَّ ليس كل ما كان موجوداً من أخبار بني إســرائيل أُبيح نقله وروايته، وإنَّما هو على ثلاثة أنواعٍ فيجب الانتباه لذلك.

إذن: فالنَّظر فيما يعارض الكتاب والسُّــنَّة مما قد يؤخذ منه أحكامٌ غيبية، أو أحكامٌ شــرعيَّة لا يجوز، ومنها التوراة والإنجيل، ومثل ذلك ممَّا لا يجوز النَّظر فيه النَّظر في علم المنطق للاستدلال على وجود الله جَلَّ وَعَلَا وقد قال صاحب «السلم»:

وابنُ الصَّــــــلاَحِ وَالنَّوَاوِي حَرَّمَا ... وَقَــالَ قَــومٌ يَنبَــغِي أَن يُعــلَمَا
وَالقَــــولَةُ الصَّــحِيحَةُ السَّـلِيمَه ... جَــوَازُهُ لِــكَامِــلِ القَــرِيحَــه
مُحَصَّــنٌ بالسُّــــــنَّةِ وَالكِتَــــابِ ... لِيَــهتَدِي بِــهِ إِلَــى الصَّـــوَابِ

فالمقصـــود من هذا أنَّ النَّظر في علم المنطق لا شـــك أنَّ النظر فيه ممَّا يقدح في تعظيم الكتاب والسُّنَّة.

۞ **ومن الأمور التي تكون هي قادحةٌ في الكتاب والسُّـنَّة والنَّصـوص الشَّـرعية تنزيلها ووضعها في غير موضعها**، فإنَّ المرء ربَّما وضع الكتاب والسُّنَّة **أعني**: الآيات والأحاديث في غير ما وضـــعت له، فحينئذٍ يكون غير معظِّمٍ لهما، ومن ذلك ما ذكره أهل العلم فيمن علَّق تميمةً، فإنَّ تعليق التمائم في قول جماهير أهل العلم ليس بمشـــروع؛ لأنَّ القرآن لم يُجعل ليعلَّق تمائم، ولم يُجعل القرآن ليعلَّق في البيوت للتَّجميل والزِّينة ولا للعرز وغيره، ولذلك فإنَّ هذه الأمور ليس من تعظيم الكتاب والسُّـــنَّة وإنَّما هو من نواقضـــه، ولذلك الحقيقة التَّعظيم للكتاب والسُّـــنَّة هو إنزالها فيما نزلت له، وجعلها فيما جُعلت له، وأما جعلها في غير ذلك فلا شك أنَّه من قوادح ونواقض ذلك.

أختم حديثي بحديثٍ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد ثبت في مســـند الإمام أحمد وغيره أنَّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**إنَّ من إجلال الله جَلَّ وَعَلَا** وذكر ثلاثة أشـــياء قـال: «**ومنها وإجلال حامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجاف عنه**».

إنَّ حامل القرآن هو في الحقيقة المعظِّم له، العامل به، العالم له، العامل به، والعالم لنصوصه والحافظ له، فإذا كان المرء من أهل القرآن غير جافٍ عنه ولا مبتعد، وإنَّما هو من أهل القرآن الذين يتلونه بين الفينة والأخرى فإنَّه يكون غير جاهل، وغير غالٍ فيه، وكذلك فإنَّ كلا طرفي الغلو ذليل، وقد ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إياكم والغلو**» **قال عبدالله بن الإمام أحمد لأبيه**: «بما يكون الغلو؟ قال: الغلو في كل شـيء فكلا طرفي الغلو ذليل غير غال فيه، ولا جاف عنه فإنَّه هو الذي يكون من أهل الله الذين هم

أهل الله وخاصته» ولا يعرف المرء الفرق بين هذين الأمرين بين الغلو والجفاء والوسط إلَّا من عمل بهذا القرآن وعلم أحكامه وتفصيلها.

أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يرزقنا جميعا العلم النَّافع والعمل الصالح وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا العلم النَّافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يرحم ضعفنا ويجبر كسرنا، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرينا الحق حقا وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً وأن يرزقنا اجتنابه، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح قلوبنا وذرياتنا، وأن يهدي أبنائنا وأن يصلح بالهم، وأن يبارك لنا فيما رزقنا، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجمعنا مع نبيِّنا محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في جنات النَّعيم وأن يغفر لموتى المسلمين، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يُعمَّ الأمن والإيمان عليهم وأن يظهر سنة نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بينهم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

سؤال:..

الجواب: الطاعة الكبرى المطلقة للكتاب والسُّـنَّة هذا الذي قلناه الذي هو الامتثال للأمر، لا شـك أنَّ الامتثال للأمر للكتاب والسُّـنَّة وإذا جاءه الأمر بعد العلم به؛ لأنَّ هناك أحكام منسـوخة هناك أحكام يعني: قد يكون يعني: عدم وضـوحها لبعض النَّاس، ولذلك يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «كلام الله جَلَّ وَعَلَا أربعة أنواع: نوعٌ يعرفه النَّاس بلسـانهم الحمد لله رب العالمين الكل يعرف معنى الحمد لله رب العالمين، ونوعٌ لا يعرفونه إلَّا بمعرفة غريب اللغة كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] قال ابن عباس: «لم أعرف ما معنى فاطر حتى اختصـم لي أعرابيان في بئرٍ فقال أحدهما أنا فطرتها قبله فعرفت أنَّ الفاطر هو الشاق بعد ما كانتا رتقًا».

قال والنوع الثالث نوعٌ لا يعلمه إلا العلماء، والنوع الرابع نوعٌ اختصـه الله عَزَّوَجَلَّ في علمه فلا يطلع عليه أحداً».

النوع الثالث الذي اختص به العلماء هو الذي قال الله جَلَّ وَعَلَا فيه في كتابه سـبحانه: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ جاءت قراءتان، والتَّحقيق أن علامات الوقف والابتداء إنَّما هي توقيفيةٌ سـماعيةٌ، وأنَّها داخلةٌ في الأحرف السـبعة من كلام الله جَلَّ وَعَلَا حينما قـال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَـبْعَةِ أَحْرُفٍ**» فإحدى القراءتان بالوقف وأخرى بالوصل، فأما الوقف بأن يقول المرء في قراءة هذا في هذه

الآيـة: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ثمَّ يقف ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾.

إذن: فيكون من النوع الرابع، وعند قراءة الوصـل ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ فيكون هذا من باب النَّوع الثالث الذي ذكره ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ. لنتكلم عن هذين النوعين وهو الثالث والرابع.

إذن: فالنوع الثالث ما يعرفه أهل العلم هذا أمرٌ أراده الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه لأمورٍ متعددة:

۞ **الأمر الأول** لكي ينال المرء أجورًا متعدِّدة، ولذلك فلو أنَّ القرآن النَّاس في فهمه سـواء لما تفاضـل أهل العلم على غيرهم، وإنَّما لكي يحصـل المرء على العلم فإنَّه يحتاج إلى تعبٍ في أول حياته، ثمَّ اجتهادٌ في نظره بعد ذلك، ثمَّ ما يفتح الله عَزَّ وَجَلَّ عليه بعد ذلك من الأمور، هذه الأمور في الابتداء والوسط والانتهاء يؤجر عليها المرء أجوراً متعدِّدة خصَّ بها العلمـاء دون غيرهم ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجـادلـة: ١١] فبين الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ الذين أوتوا العلم يُعطون درجات بسـبب علمهم في تحصـيله في ابتداء أمرهم ثمَّ في حال اجتهادهم، ثمَّ في النتيجة التي تخرج بعد ذلك فلهم أجر.

ولذلك جاء عند الحاكم من حديث ابن مسـعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ**» في المقابل انظر إذا أخطأ غير العالم جاء عن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَـاب، فَقَدْ أَخْطَأَ**».

إذن: العبرة ليس بمجرد مطلق الكلام وإنَّما بالاجتهاد، ولا يكون الشـيء فعل اجتهاداً إلا إذا كان مبنياً على مقدماتٍ صحيحة من النظر، ومن العلم، ومن الاطلاع وغير ذلك من الأمور المتعلِّقة به.

وقد ذكر أهل العلم أنَّ المرء لا يجوز له الاجتهاد في الكتاب والسُّنَّة إلَّا بمعرفة أشـياء ومن هذه الأشياء قالوا:

❁ **أولاً**: لا بدَّ أن يكون عالماً بالنّصوص حافظًا لها، وقد ذكر بعض أهل العلم أنَّه لا بدَّ أن يكون حافظًا لآيات الأحكام مثلاً، وبعضهم قال كالشيخ تقي الدين في «المسودة» قال: «بل لا بدَّ أن يكون حافظًا للقرآن كلِّه».

❁ **الأمر الثاني**: أنَّه لا بدَّ أن يكون عالماً بالنَّاسخ والمنسوخ.

❁ **والأمر الثالث**: أنَّه لا بدَّ أن يكون عالماً بلسان العرب، ولذلك فإنَّ من لا يعرف لسان العرب لا يمكن أن يفسِّر كلام الله جَلَّ وَعَلَا فإنَّه لا يحلُّ تفسير كلام الله جَلَّ وَعَلَا على غير ما تقبله لسان العرب؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٥] فلا يفسَّر هذا القرآن، ولا يُعرف إلا باللسان العربي المبين بمعرفة لسان العرب، **ولذلك يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى**: «إنَّ هذا القرآن فيه من المعاني الشيء العظيم ولا يستطيع أن يكتشف معاني هذا القرآن العظيم إلَّا من أحاط بالعربية» قال: «ولا يحيط بالعربية إلا نبي».

فالمقصود أنَّ معرفة كمال المعاني في هذا القرآن، والأحكام فيه إنَّما تحتاج للمعرفة بلسان العرب، وقبل ذلك معرفة كلام الله جَلَّ وَعَلَا لكي لا يضرب المسلم كلام الله جَلَّ وَعَلَا بعضه في بعض فلا يقول كلامًا يناقض في آخر فإنَّ كلام الله جَلَّ وَعَلَا مستقيمٌ غير مختلٍ البتَّة

ألا لله الخلق ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فالمقصود من هذا أنَّ العالم لا بدَّ أن يكون كذلك.

❁ فيه **النوع الرابع** الذي لا يعلم التَّأويل، وقد ذكر أهل العلم أنَّ الذي لا يُعلم تأويله هذا ليس على إطلاق، وإنَّما هو في أحيانٍ دون أحيان؛ لأنَّه ما من شيءٍ في القرآن إلَّا وقد أبانه الله جَلَّ وَعَلَا ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ فإنَّ الله جَلَّ وَعَلَا لا يكلِّمنا بشيءٍ لا نفهمه، وهذا الذي استدل به طائفتان المفوضة والباطنية، فإنَّ المفوضة لأسماء الله جَلَّ وَعَلَا وصفاته يدَّعون أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا كلَّمنا بكلامٍ لا نفهمه، فقال لنا كلامـًا لا نعلمه فنقول نؤمن به ولا نعرف معناه وهذا خطير، وفي المقابل الباطنية الذين يجعلون من القرآن كلامـًا ظاهراً وكلامـًا باطنـًا، ويجعلون الباطن بحسب أهوائهم وعقولهم وكليهما ضالٌ زائغٌ عن كلام الله جَلَّ وَعَلَا، وقد قلته في ابتداء الحديث إنَّ كثيرا من النَّاس يضلُّون بكلام الله جَلَّ وَعَلَا فهو فتنةٌ لبعض النَّاس **«هلاك أمتي في ثنتين ومنها الكتاب يتأولونه على غير وجهه»**.

إذن: المقصود من هذا أنَّ الامتثال لكلام الله جَلَّ وَعَلَا وسنَّة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ شرطه العلم بهما العلم بهما، العلم بهما **أي**: العلم بالكتاب والسُّنَّة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلَّا بإطالة النَّظر، وإطالة الممارسة، والأخذ عن الأكابر، وهذا مهم فليس أخذ العلم من الصحف بصواب، **ولذلك قال أهل العلم**: «إنَّ الذي يأخذ علمه من الصحف يكون رجلاً صحفيـًا» يكون يعرض عليه من التصحيف، ويعرض عليه من الخطر، ومن الفهم الشيء الخطأ في الفهم الشيء الكثير، ولذلك قد جاء عند الطبراني من حديث ابن عباس من حديث ابن مسعود بنحوه أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا تزال هذه الأمة بخير ما أخذوا العلم عن الأكابر»**، **قال ابن المبارك**: «أكابر العلم والسن».

المقصود إنَّ هذا العلم يؤخذ بالتوارث **كما قال المبارك**: «العلم الإسناد من الدين فإن قيل عن من بقي» فنقصني من هذا أنَّ العلم مهم جدًا، وليس كل من ادعى العلم بمصيب، وكفى المرء أن ينظر في التاريخ من أوائل تاريخ الإسلام كم من متصدِّر عمرو بن عبيد والجعد بن درهم يدعيان العلم بالكتاب والسُّنَّة، ولكن فأما الزَّبد فيذهب جفاءً، وأمَّا ما ينفع النَّاس فيمكث في الأرض.

إذن: المقصود من هذا كما تفضلت أخي الكريم إنَّ من أعظم الامتثال للكتاب والسُّنَّة الامتثال لهما بطاعات، بكمال الامتثال بالطاعة بالأمر، ولذلك معلومٌ أنَّ طالب العلم الحقيقي العالم هو الذي يكون أكثر النَّاس امتثالاً، ولذلك طالب العلم تعيب عليه حقيقةً عندما ترى في سمته في صلاته ما ليس بسنة، عندما يترك بعض السنن اليسيرة وإن كان في بعضها الاختلاف في نظر أهل العلم لكن انظر في سمته في الصَّلاة **قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى**: «كنا إذا أردنا أن نأخذ عن أحدًا العلم نظرنا أول الأمر في صلاته» فكانوا ينظرون إلى الصلاة فإن حسنت صلاته وكانت موافقة للسنة، ومتبعًا فيها في وقتها، وفي صفتها وفي قراءته فيها، والإجادة فإنَّ هذا هو في الحقيقة العالم فإنَّ العلم إنَّما يكون بالامتثال هذ من جهة.

من جهة أخرى يجب على العالم وطالب العلم حقيقةً أن يكون من أكثر النَّاس في أخذ السنن، وهذا مهم جداً الأخذ السنن دائمًا فطالب العلم فائدة تعلُّمه للسنن الامتثال فإنَّ هذا هو الثمرة، يقول أبوعبد الرحمن السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ورحمه صحابي وابن صحابي، ولذلك قال ابن الصحابة وتلميذه وهو من الذين أُخذ عنهم اقرأ فكثير من علماء القراءة ينتهي أسانيدهم إليه أو إلي زر بن حبيش عن علي وغير ذلك من الرواة، **يقول أبو**

عبدالرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: «حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن من أصحاب النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّهم كانوا لا يجاوزون عشر آياتٍ حتى يتعلموا ما فيها من الحلال والحرام ثم يعملوا بها».

إذن: -أيها المسلم- إذا حضرت درسًا أو نظرت في أمرٍ فإن أردت أن تمتحن وتبتلي انتفاعك من عدمه فانظر في عبادتك هل تغيرت أم، انظر فيها من جهتين:

❁ **الجهة الأولى** أن تنظر فيها هل زادت أم نقصت فإن خرجت من حلقة علمٍ، ثمَّ بعد ذلك زادت عبادتك بصدقةٍ، أو زادت عبادتك بقيام ليلٍ، أو بالتزام سنةٍ من السنن، أو قراءة قرآنٍ وغير ذلك فاعلم أنَّك قد انتفعت.

❁ **الأمر الثاني** أن تجد أنَّ عبادتك قد تحسنت في أدائها فيكون قراءتك للقرآن أجود بضبطه، ويكون أداؤك للصلاة أتم بمعرفة سننٍ فيه وهكذا، أو محظوراتٍ كنت تقع فيها وغير ذلك فإنَّه حينئذ تكون قد انتفعت، ولا أعدمكم بعضًا من الفوائد المتعلِّقة بالصَّلاة؛ فإنَّ بعض النَّاس يخطئ في الصَّلاة أخطاءً كثيرة نجدها بيِّنة واضحة، فمن الأخطاء المتعلِّقة بالصَّلاة بأمرٍ واحد وهو في قول المرء الله أكبر، فقط في قول الله أكبر، هناك أخطاءٌ كثيرةٌ يقع فيها كثير من النَّاس، فمن ذلك أنَّ بعض الناس قد يمدُّ هذا اللفظ لفظ مداً يخرجها عن معناها، والسُّنَّة في التَّكبير في الصَّلاة كلِّها أن لا يكون في التَّكبير مدٌّ، حتى المد الجائز مقدار حركتين لا يكون فيه مد، وقد جاء عن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وهو الأصح إسناداً وروي مرفوعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**التَّكْبِيرُ جَزْمٌ**» والمراد بكونه جزمًا **أي**: لا مدَّ فيه، فتكبيرك في الصَّلاة السُّنَّة فيه أن يكون جزمًا فتقول: الله أكبر، ولا تقول االله أكبر ولا تمده في الصَّلاة كلها هذا هو السُّنَّة.

الأمر الثاني أنَّ السُّنَّة في التَّكبير أن يكون التَّكبير بين الركنين لا قبلها ولا بعدها، وبعض النَّاس إذا أراد الهوي للركوع كبَّر قائمًا ثمَّ ركع وهذا خطير بل قد قال المجد بن تيمية وهو قول كثير من أهل العلم أنَّ صلاته باطلة، واللازم أن يكون التَّكبير كلُّه أو بعضه كما قال أبو الفرج بن رجب: «بين الركنين لا قبله ولا بعده»، وبعض الأئمة يكبر قائماً ثمَّ يركع، وبعضهم يستتم قائماً ثمَّ يسمع فيقول: سمع الله لمن حمده، وقد ذكر جمهور أهل العلم أنَّ من فعل ذلك تبطل صلاته لولا أنَّه يعذر بالجهل بهذه المسألة أو النِّسيان أحيانًا، ولذلك قال ابن رجب: «قلَّ من يضبط ذلك فيعفى عنه جهلها في بعضها».

المقصود من هذا أنَّك إن خرجت من حلقة علمٍ لمعرفة سنةٍ، أو بزيادةٍ في عبادة فهذا انتفاع والله أعلم.

وممَّا يتعلَّق بالتَّكبير كي نعلم أن يعني: أحكام هذه وهي مسألة واحدة لكنها ذات أهمية، وممَّا يتعلَّق بالتَّكبير قلنا أنَّه لا بدّ أن يكون في محلِّه قلنا لا بدَّ أول شيء أن يكون جزلاً **بمعنى:** أن لا مدَّ فيه وهو السُّنَّة، بل لربَّما كان بعض المدِّ مبطلاً لفعله، ومثلوا للمد المبطل فيه قالوا أن يمد الهمزة من لفظ الجلالة، أو أن يمد الهمزة من أكبر وهو الخبر، أو أن يشبع الفتحة فيجعلها مداً من الباء فيقول أكبار، فيكون جمع كبر وهو الطبل، وكل هذه الأمور لا شكَّ أنَّها منهيٌّ عنها ومذمومة، ومن تعمَّدها فإنَّ صلاته تكون باطلة.

ومن الأمور المتعلِّقة بالتَّكبير أيضاً قلنا إنَّه تكون بين الركنين لا سابقةً له وليست لاحقة.

ومن الأمور المهمة في التَّكبير أنَّ بعض النَّاس يكون غير قادرٍ على القيام في الصَّلاة،

وإنَّما يصــلي جالســاً في قيامه بعدم قدرته، ولكنه قادر على تكبيرة الإحرام قائما: وقد ذكر أهل العلم أنَّ القيام في الصَّلاة نوعان: ركن وشرط لركن.

فأما القيام الذي هو ركن فهو القيام في الصَّــلاة كلِّها أي: في القراءة وعند الرفع ونحو ذلك، فهذا ركنٌ ومن عجز عنه سقط، سقط عنه لأنَّه ركنٌ طويل.

القيام الثاني قيام يكون شــرطاً لركن وهو القيام عند تكبيرة الإحرام، وتكبيرة الإحرام مدتها ثوانٍ قليلة، فلا تصــح تكبيرة الإحرام إلَّا قائًما إلَّا من كان عاجزاً عن القيام مطلقاً فيكبر تكبيرة الإحرام جالساً نحن نتكلم في الفريضة دون النافلة.

ولذلك فإنَّ بعض الناس قد يدخل المســجد قائماً ويصــلِّي جالســاً نقول نعم يجوز، لكن تكبيرة الإحرام يجب عليك أن تكبرها قائمــاً؛ لأنَّ القيام هنا هو شــرطٌ لركن، وأمَّا القيام الثاني فهو ركنٌ منفصل، ولا تلازم بين الفعلين فإنَّ هذا فعل غير الثاني هذه مسألة.

من المســائل المتعلقة أيضــاً بالتكبير أنَّ التكبير له سـنَّة وهو رفع اليدين معًا، وقد كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت من حديث أبي حميد من حديث أبي أســيد، ومن حديث علي ومن حديث ابن عمر أربعة أحاديث في الصــحيح أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يرفع يديه للتَّكبير، ورفع اليدين في التَّكبير له أحكام تتعلَّق به، من هذه الأحكام:

۞ **الحكم الأول** أنَّ رفع اليدين له صفةٌ معينة، فصفته ورد فيها حديثان حديث عبد الله بن عمر لله عنهما، وحديث مالك بن حويرث والحديثان في الصحيح، فأما حديث مالك بن حويرث فإنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ذكر أنَّه كان يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، وأمَّا حديث ابن عمر فقد ذكر أنَّه يحاذي بهما أذنيه، وهذه صفتها بأن يحاذي بهما منكبيه أو

يحاذي بهما أذنيه وهاتان صـــورتان في التكبير واردتان عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **أعني**: برفع اليدين عند التكبير وبعض النَّاس يخطئ فيه من جهة فإنَّه ربَّما زاد في الرفع عن الأذنين ولم يرفع النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، أو ربَّما نزل عن منكبيه ولم يفعله النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بالغ فمسَّ بيديه أذنيه، ولم يذكر ابن عمر أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسَّ أذنيه وإنَّما قال حاذا، وفرقٌ بين المماســة وبين المحاذاة، وبعض النّاس أشــدّ من ذلك يقبض بيديه على أذنيه وليس ذلك تكبيراً، التكبير أن تحاذي بيديك فقط إما المنكبين أو الأذنين هذه مسألة.

۞ **المســألة الثانية** أنَّ السُّـنَّة في اليدين حينئذٍ أن تكون أصـابع اليدين مضـمومة متجهة إلى القبلة فتكبر هكذا وقد جاء من حديث أبي هريرة وغيره أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كبر ماداً الأصابع ليست مقبوضةً إنَّما ماداً أصابعه، والسُّنَّة دائمـًا في اليدين في الصَّلاة كلِّها أن تكون الأصــابع مضــمومة إلَّا في موضــعٍ واحد وهو في الركوع، فإنَّ السُّــنَّة في الركوع أن تكون الأصابع مفرجةً وأن تقبض بها الركبتان.

إذن: هذه السُّنَّة الثانية المتعلِّقة برفع اليدين بالتكبير.

۞ **السُّــنَّة الثالثة فيها والحكم الثالث المتعلِّق بها في موضـعها**، وقد ذكرت لكم في أثناء حديثي كلام البغوي في هذه المســألة: «وللتكبير أربعة مواضــع ترفع فيها اليدين: تكبيرة الإحرام وعند الهوي للركوع، وعند الرفع منه، وعند الرفع من التشــهد الأول» وغير هذه المواضــع الأربع فإنَّه لا ترفع اليدين بالتَّكبير إلَّا في التكبيرات الزوائد في تكبيرات الجنازة وتكبيرات العيدين، وقد ثبت عن جمعٍ من الصـحابة -رضـوان الله عليهم- كابن عمر وأبيه أنَّهم كانوا يرفعون أيديهم في تكبيرات العيدين وتكبيرات الجنازة، فدلَّ ذلك على استحباب رفع اليدين أيضـًا في هذه المواضع.

ومن الأمور المتعلِّقة بالتَّكبير أيضـــاً أنَّ السُّـــنَّة في التَّكبير **أي**: رفع اليدين بالتكبير أن يكون رفع اليدين بالتَّكبير بين الركنين مع اللفظ، ويجوز أن يتقدَّم ويجوز أن يتأخر فالسُّـــنَّة أن يكون في أثناء الرفع، ويجوز أن يكون قبله ويجوز أن يكون بعده، والدليل على جواز أن يكون قبله ما ثبت في مســـلم أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفع ثم كبَّر وفي روايةٍ في خارج الســـنن ليست الستة كلُّها أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كبّر ثمَّ رفع، فاختلفت الروايتان فدلَّ على الجواز وإلا فإنَّ الأفضل عند أهل العلم أن يكون رفع اليدين مع قول الله أكبر، ونحن قلنا قبل قليل أن قول الله أكبر وهو التكبير يكون متى وجوباً يجب أن يكون بين الركنين.

هذه الأحكام -أيها الأخوة- كلُّها وهناك غيرها أيضـــاً لكني التي أوجزت فيها كلُّها متعلقٌ بشـــيء يقال في ثلاث ثواني الله أكبر، ولا يعلم هذه الأحكام إلا العالم والعالم نســـبي العلم نســـبي، الآن أنت بعد معرفتك لهذه الســـنن بدليلها من كلام فعل النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله ونقل الصحابة -رضوان الله عليهم- صرت عالمـاً بها فالآن حينما تكبِّر هذه التكبيرة في الإحرام، أو تكبيرات الانتقال، أو التكبيرات الزوائد، وتكون متبعـاً فيها للســـنة فقد زاد أجرك في الصـــلاة الثانية عن الصـــلاة الأولى لأنَّك كبَّرت بســـنة قد تعلمتها، وهكذا المعظِّم للكتاب والسُّـنَّة فإنَّه بمعرفته بالأحكام الشـرعية يزيد أجره، ويكون أكمل ثواباً ومثوبةً عند الله عَزَّوَجَلَّ وأكثر تعظيماً وأكثر استشعاراً فالمرء بعد معرفة هذه الأمور يستشعر الغرض من العبادة من رفع اليدين، **قال عبدالله بن المبارك**: «إذا رفعت يديك في الصـــلاة فإنَّما ترفع حجاباً بينك وبين الله جَلَّ وَعَلَا» فأنت عندما تقول في تكبيرة الإحرام الله أكبر فإنَّك تكلِّم الله عَزَّوَجَلَّ فتدعو الله عَزَّوَجَلَّ وحده وتناديه وتناجيه وتلجأ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا تدعو أحداً غيره ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] لا أحد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك فإنَّ المسـكين حقيقةً من يدعو غير الله جَلَّ وَعَلَا وتعجب كيف أنَّ رجلاً يدعي العلم، ويدعي الإيمان، ويدعي الإسـلام، ويحافظ على الصَّـلاة، ثمَّ بعد ذلك إذا نزلت به ضـائقةٌ سـألها غير الله جَلَّ وَعَلَا، وسـؤال غير الله جَلَّ وَعَلَا درجتان: درجةٌ ممنوعة، ودرجةٌ مباحة. والمباحة بعضها يصل للكراهة وبعضها يصل إلى الإباحة المطلقة.

فأمَّا الممنوعة فهو سؤال أحد من الخلق شيئًا لا يفعله إلا الخالق، فمن سأل غائبًا أو ميتًا أو سـأله شـيئًا من الأمور التي يختص بها الله جَلَّ وَعَلَا كالرزق والإحياء والإماتة، فإنَّه صـرف شـيئًا من أفعال الله جَلَّ وَعَلَا لأحدٍ من المخلوقين، فهذا الرجل نقول لسـت معظمًا للكتاب والسُّنَّة؛ لأنَّك لم تعمل بهما ولم تقدمهما على شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١] كيف تقدم أحداً من الخلق على الله ورسـوله على الله جَلَّ وَعَلَا وعلى أمر رسـوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، عندما نقول ورسـوله ففي حياته ذاته وبعد وفاته سنته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وأما السـؤال المباح فإنَّه سـؤال أمور الدنيا ممَّا يسـتطيعونه، ولكن كمال النَّاس لا يسـألون إلَّا في الحاجات، ولذلك جاء في مسـلم من حديث عوف ابن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنَّهم بايعوا النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فأسرَّ كلمةً فقال عوف لم يخبر بها النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلا بعض أصـحابه ما هي؟ فقال على ألا نسـأل الناس شيئًا، فالسُّـنَّة للمرء ألَّا يسـأل أحداً من الناس شيئًا يستطيع فعله بنفسه إلا لحاجة، ولذلك النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كان في بيته يخصف نعله، ويخلط ثوبه، ويقوم بمهنة أهله، ولا يسـأل أحداً عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا من كمال أدبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو من كمال التوكل على الله جَلَّ وَعَلَا.

سؤال:..

الجواب: لا شك أنَّ من أعظم العلم إصابة قراءته إصابةً صحيحة والإنسان إذا أراد إصابة القرآن فليقرأه على من يحسن القراءة كما قال النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أراد أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأه على ابن أم عبد**» فابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان من أعلم النَّاس بالأداء على لسان النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت قراءته كما أنزلها الله جَلَّ وَعَلَا، ولذلك فإنَّ كثيراً من القراءات السبع ترجع إسنادها إلى علي أو ابن مسعود، أو أبي وغيره من الصحابة.

الإنسان يتعلَّم والإنسان ليس عيباً إنَّه لا يحسن قراءة آية بل يتعلم، وإنَّما الضَّرر أن يقنع بجهله ويستحي ويستكبر أن يتعلم: في البخاري أنَّ مجاهدا قال: «لا ينال العلم مستحٍ ولا مستكبر» فالإنسان يتعلَّم ولكن لا يسأل إلَّا من يعلم؛ لأنَّ ربّما لو قال جاهل صحح لي فلربّما صحح الجاهل له خطأه، ولكن يسأل إمام المسجد أو معلم القرآن أحسن.

سؤال:..

الجواب: جلسة الاستراحة جلسة الاستراحة ثابتة في البخاري من حديث مالك بن حويرث أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما قام من الأولى للثانية جلس جلسةً يسيرة، ولذلك يقول الشيخ تقي الدين: «من فعلها لا ينكر عليه ومن تركها فلا ينكر عليه».

إذن: يجب أول قبل أن أتكلم لك عن سنيتها لا ينكر على من فعلها ولا ينكر على من تركها.

إذن: الأمرين لا ينكر عليه وإنَّما النزاع فيما هو الأفضل منهما.

ولذلك عندنا قاعدة مقرَّرة: «لا إنكار في المسائل الاجتهادية الخلافية» والمقصود

بالمســائل الاجتهادية الخلافية **أي**: التي فيها دليل يدل عليها فلا إنكار في العمل وإنَّما المناقشــة والمحاججة، ويســمى الإنكار بالقول فإنَّه مازال بين أهل العلم منذ القدم، فإذا رأيت امرءً لا يترك جلســة الاســتراحة فلا تنكر عليه، وإذا رأيت رجلًا يجلس جلســة الاســتراحة فلا تنكر عليه؛ لأنَّ كلا الأمرين منقول عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والذي عليه التَّحقيق والذي كان يفتي به الشــيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أنَّ جلســة الاستراحة سنة أحيانـًا، وخاصة إذا وجد موجبها كان يكون المرء قد كبر سنِّه أو تعب ونحو ذلك لكنها ســنةٌ أحيانـًا، فلو فعله أحيانا فإنَّه يجوز، وأمَّا المواظبة عليها فإنَّها لم ترد إلا من حديث مالك وروي أيضــًا من حديث غيره لكن له توجيه، وأغلب الصــحابة الذين حكوا صـفة صـلاة النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهم حديث أبي حميد من حديث عائشـة لم يذكروا أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجلس هذه الجلسة، بل ذكر ما هو أدق من ذلك كمده في التسبيح عند قيام الليل سـبحان الملك القدوس سـبحان الملك القدوس سـبحان الملك القدوس فما ذكر الصحابة -رضوان الله عليهم- صغيرةً ولا كبيرةً، أو فما رأوا صغيرةً ولا كبيرةً من صلاة النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا فعل، فالتحقيق والعلم عند الله عَزَّ وَجَلَّ أنَّها سنة لكنها تتأكد أو تُفعل عند الحاجة كأن يكون المرء كبير الســن، أو ثقيل اللحم، أو أطال في الســجود، أو متعب ومجهد ونحو ذلك.

سؤال:..

الجواب: من أي جهة؟ أحكام الصلاة على الكرسي فيها مجلد كامل مطبوع قلنا تكبيرة الإحرام طيب كم بقي طيب عشان الإقامة ثلاث دقائق.

إذن: آتي بثلاثة أحكام التكبير قلناها قبل قليل من كان قادراً على التَّكبير في تكبيرة

الإحرام لا يجوز له أن يكبر جالساً، والمراد بالقادر على التَّكبير الذي يقدر بنفسه من غير اعتماد ولا استناد، الاعتماد على جدارٍ أو على رجل، والاستناد الاستناد على عصا على التحقيق، وإن كان مشهور المذهب أن الاستناد من كان قادراً على الاستناد لزمه ولكن التحقيق أنَّه الاستناد والاعتماد ليس واجبين بحديث زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا واحد، فيجب عليه القيام في الصَّلاة كلِّها ومنها تكبيرة الإحرام، فإن عجز عن القيام في الصَّلاة والعجز في القيام عن الصلاة لأحد ثلاث موجبات: إما أنَّ القيام يزيد مرضه، أو أنَّ القيام يؤخر برأه، أو أنَّ القيام يكون يسبب له مشقة وحرجاً خارجان عن العادة فيجوز له الصَّلاة جالساً ومن باب أولى العاجز وعدم القادر، ودليل ذلك حديث عمران لمَّا أصابته البواسير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صلي قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب»**.

إذن: هذه المسألة الأولى أنَّ تكبيرة الإحرام تجب قائماً ثمَّ يجلس بعد ذلك.

المسألة الثانية فيما يتعلَّق في الرُّكوع والسُّجود نقول إنَّ من كان قادراً على الرُّكوع والسُّجود فيجب عليه أن يركع ويسجد وإن ترك القيام فلا تلازم بينها هذا واحد.

الأمر الثاني في الرُّكوع والسُّجود هل يضع يديه على ركبتيه أم لا نقول لا لا يضع يديه على ركبتيه لأنَّ الهيئة سقطت فيصلِّي فيومئ بالركوع، وإذا أراد للسُّجود فيومئ للسجود أكثر لما ثبتت في الصحيح أنَّ النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى على الراحلة فكان يومئ بالرُّكوع والسُّجود، ويجعل السُّجود أكثر إماءً عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيومئ بالسُّجود أكثر هذه مسألة.

من المسائل كذلك أنَّ بعض النّاس إذا أراد أن يسجد جعل أمامه طاولةً أخرى يسمونه كرسي الصَّلاة وهذا غير مشروع وقد روى البيهقي من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه مرض

فدخل عليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزوره فلمَّا أراد أن يسجد أتى بوسادةٍ ليصلي عليها، فأتى النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقضيبٍ فأبعده وقال: «**صلي قاعدا وأومئ في ركوعك وسجودك**» فالمرء إذا صلى قاعداً فإنَّه لا يجعل جبهته على الأرض، ولا يجعل يديه على الأرض، ولذلك قال أهل العلم يكره أن يسجد على يكره كراهه فقط لحديث جابر أن يسجد على ذلك.

هذا ما يتعلَّق بصفة الرُّكوع والسُّجود والحمد لله الدين يسر، وما ضاق أمرٌ إلَّا واتسع في بيت باقي شيء باقي المحل موضع الكرسي، نقول موضع الكرسي **يعني**: له حالتان إن كان المرء لا يستطيع القيام ولا الرُّكوع ولا السُّجود فإنَّه **يعني**: القيام وما بعده لا يستطيعه فإنَّه حينئذ يقدِّم الكرسي كهيئة صاحبنا؛ لأنَّ العبرة عندهم قاعدة عند أهل العلم، العبرة في مصافة الصف بالظهر العبرة بالظهر حال القيام، وقت القراءة لأنَّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسوي الصف حال القيام فوقت القيام هو الذي يكون مستوياً فإن كان يصلِّي جالسًا فيقدِّم الكرسي بحيث يكون صدره مستوياً مع صدر الذين بعده، وأمَّا المرء إذا كان يصلِّي قائماً وإنَّما يجلس على الكرسي في السجود فيؤخر الكرسي خلف الصف بحيث أنَّه في حال القيام يكون مستويًا، والكلام هذا كلُّه متى؟ إذا لم يؤذي من خلفه فإن آذى من خلفه فلا شك أنَّ التقديم أولى؛ لأنَّ الإيذاء منهيٌّ عنه، إيذاء المسلم في صلاته هذا من جهة، وقد أجمع أهل العلم على أنَّ مساوة الصف سنة إلّا خلافاً يسيراً كخلاف الظاهرية واختاره الشيخ تقي الدين. **والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد.**

